01-02-2015

الشيخ جمال الدين سيروان

تحريم الرشوة والهدية على الحاكم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين صلِّ اللهم وسلم على صفوة خلقك سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا وقرة أعيننا محمد وعلى آل بيته الأطهار وصحابته الأبرار وعمن سار على دربهم في هذه الدار، نسألك اللهم رضاك لا تشغلنا بسواك فرحنا مولانا عند لقاك، نسألك حبك وحب من يحبك وحب عملٍ يقربنا إلى حبك برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم برحمتك عُمّنا واكفنا اللهم شر ما أهمنا وأغمنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة جمعًا توفنا عند انتهاء آجالنا، نلقاك مولانا وأنت راضٍ عنا، وإلى غيرك لا تكلنا، ومن شرور خلقك وشرور أنفسنا سلمنا، يا ربنا سلمنا وسلم لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وسلم لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وسلم لنا آخرتنا التي إليها معادنا، سلمنا ربنا من شر الأشرار ومن كيد الفُجار، ومن حر ونفح النار برحمتك يا عزيز يا غفار، نسألك اللهم فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلًا لجميع المسلمين المستضعفين، اللهم يا ربنا فرِّج عنهم ما هم فيه بقدرتك يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تنصر الإسلام والمسلمين، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وعليك اللهم بالجاحدين والكافرين والملاحدة يا قوي يا قادر، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، أرنا اللهم عجائب قدرتك في هزيمتهم، وخلِّص المؤمنين يا ربنا من أيديهم بقدرتك يا رب العالمين، اغفر اللهم لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولأزواجنا ولأولادنا ولذرارينا ولأشياخنا ولأصحاب الحقوق علينا ولإخواننا الحاضرين والغائبين ووالديهم وللمسلمين أجمعين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا محمدٍ الأكرم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

أيها الأحبة الكرام، وما زلتم تتفيئون الظلال ظلال الحبيب المصطفى ﷺ، ترتشفون من معيل محبته، وتأخذون من تلك العيون الطاهرة التي تنبع من فمه الطاهر صلى الله وسلم وبارك عليه، حكمةً، وعلمًا، وفضلًا، وفهمًا، واستقامةً، وسلوكًا، وبيانًا للحق، لأنه ﷺ معصومٌ عن أن ينطق إلا بالحق ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. أعطاه الله تعالى تلكم العطايا، ووهبه هاتيكم السجايا، فلم يكن له مثيلٌ ﷺ فهو رحمة العالمين، وهو صاحب الخُلق العظيم، وهو صاحب القول البليغ، فﷺ أوتي جوامع الكلم، وكلامه عليه الصلاة والسلام إنما يُنمّي فينا وعيًا لإدراك المعجزة التي بعثه الله من أجلها وهي القرآن الكريم، فالقرآن الكريم معجزته الباهرة التي جعلها الله تعالى دائمةً باقيةً إلى يوم القيامة، بل إن الله تعالى جعل هذه المعجزة لسانَ أهل الجنة، فإن هذا القرآن كلام رب العالمين، ولذلك الله تعالى يجعله لأولئك المتقين مِعراجًا يوم القيامة يعرجون من خلال اتصالهم به على قدر علاقتهم بهذا القرآن الكريم " فاقرأ ورتل كما كنت ترتل فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرأها" إذن نحن مع الحبيب العظيم ﷺ، كلما ولجنا إليه، وكلما دخلنا عليه، وكلما جلسنا بين يديه ﷺ، أفاء علينا من نعمه وحبانا ﷺ من فضائله.

فاليوم وصلنا إلى فصلٍ يعنونه المصنف -يرحمه الله تعالى- بتحرم الرشوة والهدية على الحاكم، هذا البحث العظيم الجليل الخطير الذي نرى آثاره الوبيئة، ونرى نتائجه السقيمة الأليمة، التي تقدّ مضجع مجتمعنا كله، فاليوم ضاعت الحقوق، وسُلبت الأموال، وانتهكت الأعراض، من خلال هذه الرشوة، هذه الرشوة التي جاء رسول الله ﷺ لأجل أن يضع ميزانًا للحق فيها، فلا يمكن أن يكون هناك خلوّ عن العدل في مجتمع الإسلام، فالرشوة هي التي تقضي على العدل، فالرشوة تقضي على العدل، تنشر كل الرذائل، لأن هذه الرشوة هي التي يمكن من خلالها أن تضيع تلك الفضائل الإنسانية النبيلة، وأن تأتي هذه الرذائل الخسيسة، لأجل أن تمتص في الإنسان ما فيه من نزعات الخير، فالرشوة هو العامل الخطير في أي مجتمعٍ إنسانيٍ، ولذلك لما أرادت تلك المرأة الحكيمة الرشيدة الملكة، الملكة بلقيس، أرادت أن تختبر هل هذا الذي يُنادي به سليمان عليه السلام إنما هو حقٌ أراد أن يتّبعه الناس عليه، أم أراد أن يعلن إعلاناتٍ كما تُعلن اليوم، ألا تسمعون اليوم إعلاناتٍ لحقوق إنسان؟ ألا تسمعون اليوم جمعياتٍ للحفاظ على حرية البشر؟ ألا تستمعون اليوم بأنَّ هناك جمعياتٍ من خلال الأمم المتحدة في اليونيسف وسواها بأنها توزع الهبات على أنحاء العالم للمتضررين؟

وهل تعلمون بأنَّ هذه إنما جاءت بالرشوة وبالتحقيق لا يصل إلى المستحقين أكثر من خمسة بالمئة، وخمسٌ وتسعون في المئة في جيوب أولئك المرتشين، هل تعلمون ذلك؟ إن لم تعلموا فاعلموا، أرأيتم أنَّ الرشوة هي الداء الوبيل، والعلّة المستعصية، التي إن قامت في مجتمع أهلكته، ضيّعت فيه الحقوق، أهدرت فيه الكرامات، جعلت الظالم مظلوما، وجعلت المعتدي إنسانا حرًا شريفا، أرأيتم؟ أما ترون بالرشوة يُعتدى على الأعراض فيكون ذلك المُعتدى عليه أو تلك المُعتدى عليها تكون الضحية هي التي ينبغي أن تكون الظالم والمجرم، وأن يكون ذلك المجرم الباغي إنسانًا شريفًا عفيفًا يظهر في المجتمع على أنه إنسان رمزٌ في هذا المجتمع؟ أجل هي الرشوة، انظروا إلى قضاء، ليس فيه إلا الرشوة، انظروا إلى معاملات، ليس فيها إلا الرشوة، ألا تنظرون بأن حقوقًا تضيع؟ ألا تنظرون بأن بنيانًا يُشاد وبنيانًا يهدم؟ بنيان الفقير يهدم وبنيان المجرم يُعلى ويعظم، ما الذي جاء بذلك كله؟ إنما هو داء الرشوة، ولذلك القرآن الكريم لما يقول ربنا تعالى لكم فيه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. لا تأكلوا أموال الناس بالباطل، وإنكم لتعلمون أن أكلها إنما يأتي عن طريق الحُكام، والحُكام هم قضاةٌ، والحُكام وزراء، والحُكام مديرون، قولوا مديرون لا تقولوا مُدراء، هذا الشيخ يعني بيزعل علينا الشيخ صلاح لأنه أنه نجمع مدير على مدراء، وزير وزراء لكن مدير مديرون، المهم ليش اجينا لهون نحن والله نسيت أنا، فإذن هؤلاء يمكن أن يكون هؤلاء الحُكام، كل هؤلاء حُكام يمكن أن يُرشَوا، يمكن أن يُعطَوا من المال ما يُسال من خلاله لعابهم البذيء الذي يرتشون به فيُضيّعون الحقائق، ولذلك الله سبحانه وتعالى أمر فقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. لذلك النبي ﷺ كان قد جعل وراء هذه القضية تحذيراتٍ بالغة الأهمية وكلكم تعلمونها، ونحن نرى آثارها السلبية القائمة في مجتمعنا اليوم، اليوم أصبح مجتمع البشرية جميعًا من لا يُقدِّم الرشوة فهو مؤخرٌ في حقوقه، حقه الشخصي لا يناله إلا من خلال الرشوة، وهنا يقف الإنسان أمام هذا الداء الوبيل ماذا يصنع؟ ويجلس ذلك الموظف، ويجلس ذلك الذي يأخذ أموال الناس بالباطل مستأجر للقيام بالحق، وإذا به يأخذ أموال الناس بالباطل لأجل أن يضيّع حقوق الناس، عن أبي حميدٍ رضي الله تعالى عنه، قال: استعمل النبي ﷺ رجلًا من الأَسْدِ يقال له ابن اللُّتبية على الصدقة، فلما قَدِم، قال: هذا لكم وهذا أُهدي لي، من أين لك هذا؟ لا ندري أولئك المجرمين الذين امتصوا أموال الفقراء والمستضعفين، وراحوا يبنون من خلالها الأبراج، سلوا عنهم، سلوا عن أولئك ماذا يصنعون، سلوا عنهم كيف ارتشوا وأخذوا أموال الضعفاء والمساكين، ودماء اليتامى والأيامى وراحوا يبنون أبراجهم، سلوا عنهم سلوا عنهم ماذا يفعلون، سلوا عن أولئك المجرمين الذين يُقدمون في المجتمعات على أنهم رموزٌ لهذا المجتمع، هؤلاء الرموز الذي لا ينبغي أن تُمسّ بسوء، إن مُسَّت الذات الإلهية فهي حرية، وإن مُس هؤلاء المجرمون فلهم قداستهم، ولهم شأنهم، ولهم عظمتهم، لذلك النبي ﷺ لما أرسل سيدنا ابن اللُّتبية رضي الله تعالى عنه، فلما جاء فقال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر لأجل أن يوضح حقائق هذا الدين، وأخلاقيات هذا الإسلام، وسلوكيات هذا المنهج، أنتم يا أيها الشباب، أنتم الأطهار الأنقياء، أنتم أصحاب الأيادي الطاهرة النظيفة، والقلوب التقية النقية، والمفاهيم الواضحة المشرقة، أنتم أنتم الذين ينبغي أن تُشرقوا في هذا المجتمع مبادئ هذا الدين، إياكم أن تهتزوا أمام هذه الإغراءات، إياكم أن تميلوا أمام هاتيكم الإغواءات، أنتم الذين حصّنكم قرآنٌ في صدوركم، ومحبةٌ لرسولكم قائدكم ﷺ، يُحصنكم هذا الإيمانُ بغية ألا تميل منكم نفوسٌ إلى هذه القذارات التي يقع فيها هؤلاء المجرمون، فإذا بالحبيب عليه الصلاة والسلام يقف ذلك الموقف الخطير، فقام رسول الله ﷺ على المنبر، أقام خطبة جمعة، أقامها كارثة إنسانية قامت في المدينة المعطرة، قضية بسيطة جاء قال له: هذا لكم وهذا أهدي لي، أتحتاج أن يقوم الرسول عليه الصلاة والسلام لأجل أن يجعل المنبر بيانًا واضحًا للبشرية المؤمنة، وللإنسانية المعذّبة التائهة في أيامنا هذه؟ فقام الرسول عليه الصلاة والسلام على منبره الشريف في مدينته المعطرة، فقال ﷺ حمد الله وأثنى عليه، وقال: "ما بال عاملٍ أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي؟ أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيُهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمدٍ بيده" انظروا كيف يقسِم الرسول ﷺ بذاته الشريفة عبر إيمانه بربه "والذي نفس محمدٍ بيده" ما الأمر يا رسول الله؟ "والذي نفس محمدٍ بيده، لا ينال أحدٌ منكم منها شيئا، إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عُنُقه بعيرٌ له رُغاء، أو بقرةٌ لها خوار، أو شاةٌ تيعر، ثم رفع يديه حتى رأينا حفرتي إبطيه، ثم قال: "اللهم هل بلغت" مرتين صلى الله وسلم وبارك عليه وهذا حديثٌ صحيح. جعل الرسول عليه الصلاة والسلام من وراء خطأٍ لم يقصده ابن اللتبية إذ لم يكن عالمًا بذلك، فجاء على ما كان في مجتمعهم السابق قبل أن تأتي سلوكيات هذا الدين، وقال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فالنبي ﷺ اتخذ من هذه القضية بيانًا شافيًا واضحًا لأجل أن تشرق كلماته ﷺ بهذا التهديد الواضح لكل من سوَّلت له نفسه أن تميل إلى مثل هذا العمل، فقال عليه الصلاة والسلام كيف يمكن لهذا الإنسان مثل هذا الادعاء الذي يقول فيه بأنه هذا لكم وهذا أهدي لي، أنت ما جاءك ذلك إلا من خلال أنك حملت

مسؤوليةً وأخذت أجرها أخذت أجرها، وكم ذكرت لكم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان ولده عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ذكرت لكم قصته، وكيف أنه رضي الله تعالى عنه يقول له: ألِأنك ابن أمير المؤمنين؟ ألِأنك ابن أمير المؤمنين؟ ألِأنك ابن أمير المؤمنين؟ ليه؟ ماذا فعل عبد الله بن عمر؟ ما فعل شيئًا إلا أنه ترك هذه الأغنام تسوم كما تسوم كل الأغنام في هذه الأرض المُباحة هكذا فعل رضي الله تعالى عنه، فلما رآها سيدنا عمر واسترعى انتباهه أنها سِمان، لمن هذه الإبل؟ إنما هذه الإبل لابنك عبد الله بن عمر يقدمونها هديةً يفرحونه بها، انظر لابنك ثروة، كما يقال لكل مسؤولٍ اليوم في الدنيا يُقدم له هدية، هدية إن كان مديرًا في شركة، وإن كان مديرًا لمبيعات، وإن كان مديرًا للمشتريات، كله هدايا هذي هدايا بالأمس سألني أحدهم لكنْ تقي لا شك الحمد لله رب العالمين سأُرجع إن شاء الله، قال لي أنا مسؤول في شركة، أنا مسؤول للمبيعات في الشركة، فجاءتني شركة وجاءنا عروض، فأخذنا عرضًا وقلنا نحن سننجح عرضك، فأنجحوا عرض هذا الإنسان، فلما نجح عرضه ماذا فعل؟ قالوا له لا تنسنا من الحلاوة، فما نسيهم من الحلاوة وجاءهم فأعطاهم حلاوة، طيب يا أخي أنت أيش مهمتك في الشركة؟ قال والله أنا مسؤول عن قبول العروض، طيب أنت تأخذ أجرًا على ذلك؟ قال نعم، طيب والحلاوة هذه لماذا تأخذها؟ ومن الذي أباحها لك؟ قال والله انا يعني ما اشترطت عليه شرطًا إنما ذكرت له ذكرًا وهو وفّى بالوعد، فقلت له هذه هي الرشوة بعينها، قال: يعني أعيدها له، قلت له: أعيدها له وإلا تأكلها في بطنك نارًا سُحتا، كيف تأخذ هذا؟ لا يجوز لك إذن القضية أصبحت عامة الرشوة ما أصبحت القضية فقط في مستوى حاكم ولا أمير ولا ملك ولا وزير، أصبحت الرشوة في كل قضيةٍ من قضايا الحياة، وهذا يقول لك وزيّت حتى تستطيع أن تسلك، مو هيك؟ زيّت وإلا لا تستطيع أن تسلك ويعتبروه الذي يكون كذلك لا يمكن أن يقدم شيئًا هذا إنسان محطب وعقله متشنج نسأل الله تعالى السلامة، فلذلك النبي صلى الله وسلم وبارك عليه إنما وقف هنا فقال: "أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيُهدى إليه أم لا" ثم راح يصرخ هذه الصرخة ويقسم ذلك القسم "والذي نفس محمدٍ بيده، لا ينال أحدٌ منكم منها شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه" حمل على العنق، بالحس والمعنى والإذلال والقهر يوم القيامة، كم سيحملون من الأوزار؟ يومئذٍ يحملون أوزارهم، فسيحمل الإبل والبقر، وسيحمل الظلمات ودعاء المظلوم، دعاء المظلوم سيحمله يوم القيامة على رقبته، دعاء المنتهَك لحريته سيأتي به يوم القيامة على رقبته سيأتي يوم القيامة، كما قال النبي ﷺ بالتفصيل الدقيق، قال عليه الصلاة والسلام: "يحمله على عنقه بعيرٌ له رغاء" صوت البعير "أو بقرة لها خوار" صوت البقر "أو شاة تيعر" اليُعار صوت الشياه، وهذا من عجب اللغة العربية أنها تُعطي لكل صوتٍ ما يوافقه، ولو أنك أخذت هذا الخوار تجد ذلك الخوار فيه شيءٌ من قوةٍ في الصوت سُمي خوارًا، وكذلك جاء رُغاء البعير فيتناغم اللفظ مع الحس، لفظ الرُغاء، لفظ الخوار، لفظ اليُعار، نعم، ثم رفع يديه ﷺ حتى رأينا حفرتي إبطيه ﷺ، يقال إبط وابط يعني ما تخطئوني قلت إبِط، يقال إبط وابط، حتى رفع حفرتي إبطيه ﷺ، ثم قال: "اللهم هل بلغت" والنبي ﷺ من شأنه عليه الصلاة والسلام السكينة والهدوء، لكنَّ هذا الأمر استفزه ﷺ، وصعد على المنبر، ورفع كفيه بعد ذلك حتى رأوا حفرتي إبطيه ﷺ، أي بياض الإبطين حتى رأوا حفرتي إبطيه وهو يقول: "اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت" إذن هذا التنديد الخطير والتهديد الهائل، إنما يقوله عليه الصلاة والسلام حفاظًا على مجتمعٍ نرى آثار الرشوة قائمةً فيه، والتي هددت فيه أعراضنا وقيمنا، وهددت فيه سلوكياتنا، وضيّعت فيه حقوقنا، وأصبح الضعيف ليس ضعيفًا فحسب، بل أصبح ميتًا بين الأحياء، لأنه لا يمكن أن يصدح بحقٍ ولا أن يقول كلمةً، ولو أنه أراد أن يعبر عن مظلِمته لوجدت بأنه سيزداد الظلم عليه من جديد، عليه أن يسكت وأن يسبّح بحمد الظالم، إذن قضايا خطيرة أصبحت في مجتمعنا إنما جاءت من خلال بليةٍ رسول الله صلى الله وسلم وبارك عليه أراد أن ينبهنا إلى خطرها الماحق، الذي لو أنه استمر لرأينا آثاره ونتائجه، وكم ترى من أولئك الموظفين الأطهار القِلة في المجتمع، شوف موظف إنما تورّم لكنْ ورمًا خبيثًا، تورم وخرج موظفٌ طاهرٌ طاهرٌ تعرفوه السيد عبد الله الجفري -الله يحفظه- خرج من رئيس بلدية ليقوم كان عنده فرن مو فرن يا شيخ ممتاز؟ فرن، من رئيس بلدية لأيش فتح؟ فتح فرن يا سلام، يا سلام، فرن اليُسر فتح فرن، قال بيوم الإثنين بتشوفوه سيد عبد الله الجفري كان مدير عام الجوازات والجنسية، مدير عام الجوازات والجنسية، هو كان يمنح الجنسية، وبعدها كان رئيس بلدية جدة أو جُدة بالأحرى، لما يعني انتهى عمله الوظيفي عنده شيء من فلوس يعني مدخرها من وظيفته، استطاع يفتح فرن سمّاه فرن اليسر، هذا رئيس البلدية ومدير عام للجوازات والجنسية قاعد والله بالفرن لبيع الخبز، أيوة يا سلام يا سلام، أرأيتم؟ هؤلاء، ما في هذا لكم وهذا أهدي لي، ما في أي نعم نعم، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يومٍ فذكر الغُلول فعظّمه وعظّم أمره، ثم قال: "لا أُلفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعيرًا له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك" يعني لن ينال شفاعتي، يعني لن ينال شفاعتي، أبلغتك أنَّ هذا الأمر خطير، فلماذا مضيت فيه ومع شرِه المستطير؟ "لا

ألفينّ أحدكم يجيئ يوم القيامة على رقبته فرسٌ له حمحمة" وهو صوت الفرس كما قلنا هذا من عجب اللغة العربية "فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاةٌ لها ثُغاء" يقال يُعار وثُغاء "يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفينّ" ألفينّ يعني لا أجدنّ "أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفسٌ لها صياح قتلها" إما قتلها بالحس أو قتلها بالمعنى، فكم من نفسٍ موجودةٍ مقتولةٍ معنى قتلها أولئك المجرمون، مقتولة معنى لا يستطيعون إلا أن يسبّحوا بحمد الظالمين الذين يظلمونهم، وأن يقولوا هؤلاء إنما هم من المنعمون وهم سادةٌ لنا، هكذا يريدون أن يعلّموا الشعوب، أن يعلموا الشعوب ذُلًا وهوانًا، لذلك جاء الإسلام ليمنح المسلم حريته في رأيه، كرامته في إنسانيته، حريته في امتلاكه، جاء لأجل هذه المبادئ التي عزز الإسلام قيامها في اختيار دينه، في اختيار فكره ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. فالحرية أصلٌ من الثوابت الإسلامية التي يأتي بعدها الدين، ويأتي من خلالها العقل، ويأتي من بعد ذلك النسل، ويأتي من بعد ذلك المال، هذه الكُبريات التي جاء الإسلام لأجل أن يعزز وجودها، جاء ليحمي المسلم من أن يكون مَطيةً لتضييعها، فلا يكون مسلمٌ من المسلمين بحق الإسلام إلا إذا حافظ على مثل هذه القيم، وعلى هذه السلوكيات العُظمى، لذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام، قال: "فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاعٌ تخفق" يعني عم يبين النبي ﷺ كل ما يتوقع، إن كان ثياب مسلوبة، إن كان رقاب مقتولة، إن كان حيوانات مسلوبة منهوبة، كل ذلك سيأتي على رقبة صاحبه يوم القيامة، "فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامتٌ" صامتٌ يعني هذا الجامد هذا، يلي بيجي يعني مرة قال واحد بدمشق جاء لعند واحد يعني رئيس بلدية قبّحه الله، فجاء ووضع الحقيبة إلى طرف إلى طرف المنصة إلى طرف الطاولة، فقال له: ليه حطيتها هنا أنت؟ ارفعها حطها هنا نحن بنسرق؟ نحن بنسرق؟ هذا حقي، حطها فوق عالطاولة أمام الموظفين، أنت خايف أنه حدا يشوفني يعني هداك مسكين يعني خاف أنه يضعها على أمامه فجعله إياها من الأسفل، قله لا لا لا حطها فوق نحن عم نسرق؟ هذا حقنا أرأيتم إلى هذه الفجاجة والوقاحة وضياع الحقوق، والتطاول على الله وعلى الرسول وعلى المؤمنين، نعم كل ذلك يفعله هؤلاء المجرمون نعم "فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك" وفي روايةٍ: "يا أيها الناس من عُمِّل منكم لنا على عملٍ فكَتمنا منه مِخيَطًا، فكتمنا منه مِخيطًا، من عُمِّل منكم لنا على عمل فكَتمنا منه مِخيطًا فما فوقه، فهو غُلٌّ يأتي به يوم القيامة" أعيد الحديث: "يا أيها الناس من عُمِّل منكم" يعني استُعمِل منكم، استُأجِر منكم، لأن الموظف أجير، وسيدنا موسى سمّى نفسه أجير، ما كان أجير عن شعيب ولا لا؟ مو هيك قال؟ ﴿عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾. في مُؤجر وفي مستأجر، مستأجر وأجير هذه القضية، فقال له: "يا أيها الناس من عُمِّل منكم لنا على عملٍ فكَتمنا منه مِخيَطًا فما فوقه فهو غُلٌ يأتي به يوم القيامة" رواهما مسلمٌ وأبو داوود. ولذلك الصحابة لما كانوا يخشون هذه الخشية رضي الله تعالى عنهم، لما أتوا لسيدنا عمر بتلك الغِلال، وكانت غلالًا من الشعير، وغلالًا من القمح؟ ماذا كانت تلك الغِلال؟ كانت من الماس والياقوت، هذه الغلال التي أتوا بها بعد أن نصرهم الله تعالى على الفُرس وأتوا بتلك الغِلال، الغلال التي يصفها الواصفون البِساط الذي كان لكِسرى يبسطه في الشتاء ليعوَّضه منظر الصيف والربيع، فكان له بِساطٌ من الزبرجد، واليواقيت، والماس، والذهب، والفضة، قد صنفوه له على شكلِ الينابيع، والأنهار، والأشجار، والتلال، والجبال، حتى إذا جلس على عرشه إنما تصوّر بأنه ما زال في الربيع، حُمِل ذلك كله قطعًة واحدة ووضع بين يدي عمر رضي الله تعالى عنه في المدينة المعطرة، مع كل ما وجدوه في هاتيكم القصور من اللآلئ والزبرجد والمرجان، وما سوى ذلك كل ذلك حملوه لم ينقصوا منه شيئًا واحدا، ولا حبة خردل، هنا بكى سيدنا عمر، قال: والله إنَّ قومًا أدّوا هذا لأُمناء. لأُمناء، شايف هدول ما قالوا والله تعبنا، ما قالوا والله سعد رضي الله تعالى عنه إنما قاد معركته رضي الله تعالى عنه وكان قد أصيب بداء البواسير فكان لا يستطيع أن يقود المعركة ويركب عليها فوق فرسه، فكان يمتطي فرسه على بطنه، فسعد رضي الله تعالى عنه الذي قال له النبي ﷺ: "ارمِ سعد فداك أبي وأمي" هذا خالي ومن له مثل خالي فليخالل به، مع ذلك سعد رضي الله تعالى عنه هو الذي بنى حُجرًة زائدةً، حُجرة زائدة، بيت سيدنا عمر المهندس كان تُعرض عليه والمهندس الاستشاري آخر شيء المكتب الهندسي الاستشاري عند سيدنا عمر يوم بُنيت الكوفة والبَصرة ولم يكن لا كوفة ولا بَصرة، فبُنيتا في الإسلام، بعد فتح فارس بُنيت الكوفة والبَصرة، فلما خُطِّط لهاتين المدينتين وأُرسل لسيدنا عمر التخطيط، فقال والله الأعزب له بيت والمتزوج له بيتان، يعني غُرفة البيت غُرفة مثل ما كان للنبي ﷺ الحجرات هي بيوت النبي عليه الصلاة والسلام، فسيدنا سعد رضي الله تعالى عنه هالأمير هذا العظيم خال الرسول عليه الصلاة والسلام صاحب هذه الأمجاد العُظمى رضي الله عنه صاحب الثراء الكبير كان من أكبر الأثرياء رضي الله تعالى عنه، فلما سيدنا عمر أرسل أرسل عيونه لتبصر هل هناك من يخالف في شيء، فجيء إليه، فقيل: يا أمير المؤمنين

إنا نخبرك بأن سعد بن أبي وقاص قد اقتنى لنفسه بيتًا ثالثًا، يعني عوض ما يكون البيت بغرفتين ساواه بتلاتة، جريمة من جرائم العصر، فسيدنا عمر رضي الله عنه أرسل محمد بن مسلمة، فقال: اذهب فتحقق من ذلك فإن وجدت هذا قائمًا فاهدمها فوق رأسه، الله أكبر فعلِم سعدٌ رضي الله عنه بمجيء ابن مسلمة، فقال: والله ما أرسله أمير المؤمنين إلا ليهدم هذا البيت فوق رأسي، عرفان القصة يعني الكتاب مفتوح، الكتاب مفتوح، الكتاب مفتوح وهنا رشوة مفضوحة، مفضوحة هؤلاء المرتشون مفضوحة قضيتهم، وهناك الطهارة والنزاهة والنقاء والصفاء واضح، فهدمه فوق راسه، ورجعه بيتين متله متل المسلمين ما بزيدوا عن ذلك.

هذا تاريخكم، وأرجو من نفسي ومنكم ومن كل مسلم ألا أتكئ على التاريخ لأجل أن أقول هكذا كانوا، وأين نحن؟ وأين نحن؟ أنكتفي بأن نتكأ على تاريخ؟ لأجل أن نرفع وكان سيدنا عمر، وأين أنا وأنت؟ أين موقعنا في مثل هذه المواطن؟ أين أنت إذا كنت في عملٍ من الأعمال لتبرز إسلامك الطاهر، ومحبتك الصادقة للرسول المصطفى ﷺ، ولتقول أنا ابن دينٍ يحقق هذه المبادئ، ويصون هذه الحقائق، فإذا كنت أردت أن تقول هكذا كان عمر، فقل أنا على عهد عمر، فعمر رضي الله عنه ليس بِدعًا من الناس، صحيحٌ قال عنه المصطفى ﷺ: "لم أرى عبقريًا يفري فريّه" صحيح صحيح ما في متل سيدنا عمر في يعني شيء عجيب يعني بمعنى النُدرة، لكنْ لا تقتضي الندرة ألا نكون قائمين بتقليدهم وبالعمل على المبادئ التي أقامها الرسول ﷺ، لتكون مسلكًا للمؤمنين الصادقين الذين نسأل الله تعالى أن نكون منهم بفضله وجوده، عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه، قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن، فلما سرتُ أرسل في أثري، فرُدِّدت، فقال: "أتدري لما بعثت إليك؟" أنا أرسلتك والنبي ﷺ يعلم من أبي موسى من أبو موسى؟ أبو موسى يعني هو أول إذا بدكن ما يسمونه الاشتراكيين أول اشتراكي بالعالم "إن الأشعريين إذا أرملوا وقلّ زادهم جاءوا بما عندهم وجعلوه في إناءٍ واحد ثم اقتسموه بينهم بالسوية فأنا منهم وهم مني" سيدنا أبو موسى الأشعري القاضي المُنصف رضي الله تعالى عنه، الرقيق الأسيف الحزين، الذي كان الحبيب ﷺ يحب أن يستمع إليه القرآن، هذا سيدنا أبو موسى الأشعري النبي ﷺ أرسله وهو يعلم من هو نقاءً، وصدقًا، وصفاءً رضي الله تعالى عنه، فقال: "أرجِعوا لي أبا موسى" فرجع أبو موسى فرددت، فقال: "أتدري لمَ بعثت إليك؟ لا تصيبن شيئًا بغير إذني فإنه غُلول ومن يغلل يأتي ما غلّ يوم القيامة لهذا دعوتك، فامضِ لعملك" تحذير من النبي ﷺ لمن؟ شوفوا التحذيرات لمن؟ لمن؟ لهؤلاء القمم، ليست التحذيرات لأُناس معروف عنهم شيء من غلط من مواربات، التحذيرات لقمم الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لأنهم هم المَثل الذي ينبغي أن يكون واضحًا في أذهان الناس، انتبه يا أبا موسى إياك إياك يا أبا موسى، نعم وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي في الحكم. ورواية: والرائش الذي يمشي بينهما. الوسطاء كتار اليوم، الوسطاء الذين يقومون في الوساطة، في عندنا مكاتب وساطة اليوم هم الذين يُهيّئون هدول المفاتيح، والله المغاليق هدول المغاليق لكل خير، يعني شيخ ممتاز سماهم مفاتيح الشرور مغاليق الخير، مفاتيح الشرور ومغاليق الخير، هدول هؤلاء والعياذ بالله المُستأجرون لأجل أن يكونوا أبالسةً يمهدون لكل هذا الشر الوبيل الذي ينشرونه في المجتمع، لأن الرشوة يا إخوانا يعني قضيتها من الخطر بأنها لمّا تستأسد وتنتشر، فحينئذٍ لا يمكن أن يكون صاحب كفاءةٍ في موطنه، ولا يمكن أن يكون صاحب خبرةٍ في موقعه، سلوا سلوا اليوم، كم من أبنائنا ممن جاءوا إلى بلادهم فرجعوا إلى بلاد الغرب، لماذا؟ يأتي المختص الذي هو مختصٌ في الطب، فيضعونه في إدارة دفن الموتى، يأتي المختص في الزراعة، فيضعونه في دائرة من الدوائر المهملة التي لا علاقة لها بخبرته، ويوضع في هذه المواقع من ليس له خبرة، سلوا سلوا حين أمموا هذه المصانع التي قالوا إنها للشعب ماذا فعلوا في هذه المواقع؟ من جعلوا فيها؟ من الذي نهب خيراتها؟ من الذي ضيّع ثمراتها؟ سلوا عن ذلك كله، تجدون بأن النبي ﷺ يوم حذرنا من هذا الخطر الماحق الساحق الذي لو لم تنتبه الأمة إليه، وقد انتبهت إليه من خلال آثاره الوبيئة، لم تنتبه إليه من التحذير النبوي، انتبهت إليه من خلال ما جاءها، وراحت تمتص آثاره السلبية في جسمها، وفي عقلها، وفي أبنائها، كم حُرِم أبناؤنا؟ كم حُرِم أبناؤنا العقلاء؟ كم حُرِم كثير من الأجيال النابهة، الذكية، الفطنة، التي تألّقت في علمها، حُرِمت من أن تكون في مواقع يمكن أن تعطي لأمتها آثارًا باهرةً، حُرِمت من ذلك بناءً على أيه؟ بناءً على هذه الرشوة، يُقدم في هذه الرشوة الإنسان الوضيع ويُترك الشريف، يُقدم الإنسان الذي لا خبرة معه ولا معرفة لديه على صاحب الخبرة والمعرفة، فترى بأن أصحاب الخبرة مدفونون، وترى بأن أولئك الأفاكين هم الذين يقفون في الصف الأول، كل ذلك البلاء إنما جاء من خلال هذه الرشوة التي حذّرنا الحبيب صلى الله وسلم وبارك عليه من أوبائها الخطرة، وعقابيرها المنتشرة، التي نرى آثارها، والتي نقف حيالها اليوم، ونحن ننظر ماذا جرى في مجتمعاتنا؟ كانت مجتمعات الشرف والنخوة، كان عندنا في مجتمعاتنا الطاهرة، مجتمعاتنا العربية كان في هناك نخوة، كان في هناك مُثُل، كان في هناك أخلاقيات وسلوكيات، كان في هناك طهارة يد، كان في هناك عفاف كنت أذكر لأخوة في يوم الجمعة في أحد دروس

شيخنا الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت رضي الله تعالى عنه، القارئ الفقيه اللي كان يقال عنه يعني أبو حنيفة الصغير رضي الله تعالى عنه، توفي أخوه، فتولّى أولاد أخيه، فكان يجعل حدثني الشيخ مطيع الحافظ ابن أخيه، فكان يجعل كيسين كان عندهم لباسهم غير لباسنا، كيس لأولاده وكيس لأولاد أخيه، لما يأتي نأتي لعمي لاجل أن نأخذ نحن منه الخرجية بسموها أهل الشام، مو هيك؟ تعرفوها الخرجية يا شباب؟ فالشيخ إجا ابن أخوه مد يده على كيس أولاد أخيه، أولاده على كيسه ما في خلط بماله ومال أخوه، وَرَعًا من أن يكون هناك خلطٌ بين المالين، شايفين الوَرَع، شايفين الوَرَع، هذا الورع الذي أنتج لنا هذه السلوكيات العُظمى، وماذا جرى في أمتنا اليوم؟ نحن اليوم قد نتقن طقوسًا، نتقن عباداتٍ شكليةً، نتقنها في سُبحةٍ جميلةٍ نحملها بأيدينا، في عبادةٍ شكليةٍ نتقنها على أحسن صورها، هل نجعل يدنا فيما نسبل؟ أم نجعل فوق السُّرة، تحت السُرة، لفوق، عند القلب، نتقن ذلك، كيف نضع الرجلين إلى آخر ما هنالك من هذه الأشكال التي ينبغي أن نتعلمها نعم، ولكن لا نسرف في تعلّمها، تعلّم كيف يمكن أن تحرك هذا القلب ليكون مرتبطًا بربه سبحانه وتعالى، هذه القضية التي ينبغي أن تتحرك في أعماقنا، هذه السلوكيات التي ينبغي أن تكون معنا في كل لحظةٍ من لحظات وجودنا، هذا ما حذّرنا النبي ﷺ من اقترافه ومن القرب منه، وأرجع سيدنا موسى أبا موسى الأشعري، قال له: رددتك تعال ليه يا رسول الله؟ ماذا فعلت؟ قال انتبه إياك أن تكتم عنا شيئًا، أو أن تأخذ شيئًا من غير أن تخبرنا حتى المِخيط؟ فقال النبي ﷺ مِخيط مِخيط، معاذ أي حتى مخيط مخيط مخيط إياك إلا أن تخبرنا عنه، كذلك أراد الله صلى الله وسلم وبارك عليه أن يجعل هذه الأخلاقيات قائمةً في أمته نسأل الله تعالى أن يهدينا بهُداه وأن يجعلنا ممن ارتضاه وأن يجعلنا من الذين أحبوا الله وأحبوا رسوله إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.